وقد عني علماء العربية بـ « مطابقة الكلام لمقتضى الحال»، وجعلوه شرطًا ينبغي توافره ليكون الخطاب أدبيا وبليغًا [١].

وقد تحدث البلاغيون عن هذه المطابقة بوصفها معيارًا ينبغي على الأديب مراعاته عندما يتصدى للعمل الأدبي، وتنبغي على الناقد ملاحظته عندما يتصدى للحكم على النصوص.

ويميل اللغويون المعاصرون إلى استبعادالمنهج «المعياري»، لصالح المنهج «الوصفي» اتجاهًا عاما للمناهج الحديثة في نقد الأدب وتحليله.

وهذا التباين بين الميلين، لا يمنع أن نستمد أدوات للتحليل، مما كان «شروطًا» قبل قرون.

فمقتضى الحال هو سياق الواقع الخارجي المحيط باللغة، وهو مؤثر في اللغة لكنه ليس من صميمها [٢]، إذ إن أثره في اللغة يرجع إلى الظرف الخارجي المحيط بالمتكلم والمخاطب، أكثر من كونه راجعًا إلى اللغة نفسها ألفاظًا أو معان.

وهو بهذا المفهوم يقترب من مفهوم السياق الثقافي عند المدرسة الإنجليزية الحديثة[٣].

وفي واحد من أهم علوم العربية، وأقربها إلى البحث الدلالي بمعناه العام، كان لفظ « السياق» مستعملاً بشكل مباشر، في تحليل دلالات النص القرآني وتحديدها.

ذلك هو علم «التفسير»، يقول ابن القيِّم: [٤].

«السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدلالة.

وهذا من أعظم القرائن الدالَّة على مراد المتكلم، فمن أهمله، غلط في نظره، وغالط في مناظرته.

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾[٥].

---

(١) كمال بشر، دراسات في علم المعنى، ص١٤٠.

(٢) Extera Linguistic.

(٣) للتوسع: أحمد مختار عمر، ص٦٨.

(٤) ابن قيِّم الجوزية، بدائع الفوائد، ج٢، ص٣٠١، تحقيق: بشير محمَّد عيون: ط١: مكتبة البيان، بيروت ١٩٩٤.

(٥) الدخان: ٤٩.